المحاضرة 3

اللسانيات الحديثة (مفهومها/ موضوعها/ مجالاتها) -أ

تمهيد

تعالج هاتان الوحدتان تحوّل البحث اللساني من الدراسات التاريخية للغات والدراسات المقارنة في تاريخ اللغات الهندية الأوربية أولا، إلى دراسة اللغات ذاتها

1- تعريف اللسانيات:

- **في اللغة**: من اللسان وله دلالتان: العضو من جهاز النطق Langue، واللغة أي الأصوات والرموز Langue.

- استُخدم في القرآن الكريم لفظ اللسان بمعنى لغة في عدّة مواضع، نحو: "لسانُ الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين" (النحل/ 103، و"وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبينَ لهم" (ابراهيم/04.

في الاصطلاح: اللسانيات ترجمة للمصطلح (Linguistique) وليس ثمة اتفاق على هذه الترجمة فقد ظهرت في الدراسات العربية -مشرقا ومغربا - العديد من المصطلحات التي تقابل هذا المصطلح، وهي: علم اللغة، اللغويات، اللسانيات، الألسنية، علم الألسنية، علم الألسن. وهي العلم الذي يدرس اللغة الانسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الواقع بعيدا عن النزعة التعليمية، والاحكام المعيارية.

2- موضوع اللسانيات: هو اللغة الإنسانية جمعاء دون فصل أو تمييز بينها، (وهذا ما يميزها عن علم النحو الذي هو وصف عمل نظام لغة ما) فكلها تُبين وبالتالي فكلها لغات. فيصفها ويحلل بنيتها، فاللغة متعددة في تجلياتها، فهي تتحقق في أشكال جدّ متنوعة، يطلق عليها مثلا في **الفرنسية مثلا** حسب الحالات: لغات(langues)، لهجات(Dialectes)، باتوا(Patois) (لهجة مصطنعة)، أرغو(Argots) (مجموعة من الكلمات الشفهية غير التقنية تستعملها مجموعة معينة). غير أنها واحدة في أساسها، تؤدي وظيفة بشرية تتمثل في التواصل.

3-الإطار التاريخي والإبستمولوجي لنشأة اللسانيات عند دي سوسير:

عاش دي سوسير في الفترة الممتدة من منتصف ق 19 إلى منتصف الربع الأول من القرن 20 وتعتبر هذه المرحلة من أزهى مراحل الدراسات التاريخية المقارنة ومن دروسها تعلم دي سوسير وأخذ مبادئه اللغوية الأولى وكان له دور في إثرائها وبعد أن تمكن من استيعابها لم يرضه ما كانت تنتهي إليه من نتائج ورأي أن يقدم منهجا لسانيا بديلا فتفتقت نظراته في درس اللغة بفضل ما تميز به بدقة في منهجية الطرح، وإن ما قدمه يعتبر ثورة لسانية على المناهج السابقة مثل الدراسة التاريخية والنحو المقارن. **(الطيب دبه، مبادئ اللسانيات البنوية، ص55.)**

إن التأسيس المنهجي للسانيات ديسوسير يعكس مدى ما تتضمنه أفكاره، وينطلق في أبعاده الفلسفية والمنهجية من جملة من المؤثرات استجاب لها ديسوسير.

ويشهد على فلسفتها: علم اللسان الحديث ومن أبرزها:

-التيار الفكري القائم على مبدأ النسبية الاجتماعية عند "إميل دوركايم" (1917/1858) باعتبار أن اللغة عبارة عن مؤسسة اجتماعية أو نتاجا لقوى اجتماعية.

-فلسفة التيار الإيجابي (المذهب الوضعي) الذي ينادي فيها واضعها "أوكست كونت" (1798-1957) بتأسيس المعرفة على كشف ما يحدد الظاهرة من علاقات وقوانين ويبشر بتخطي الإنسانية عهد اللاهوت لتصل إلى العصر الوضعي الذي يتعامل فيه العلماء مع الظاهرة المدروسة بوضعها حوادث طبيعية.**(المرجع السابق، ص57.)**

-فلسفة "أرسطو" واستناده إلى مبدأ الهوية في تحليلية للوحدات وهو أساس النظرة التشخيصية

إن ما ذكرناه من أسس ابستومولوجية للسانيات "دي سوسير" ليبدوا أثره الأوروبي واضحا من خلال التصورات التي جاء بها في محاضراته ورغم أن ديسوسير اعتمد _في تأسيسه لعلم اللسان الحديث_ على تراكمات المعارف اللسانية السابقة إلا

انه استطاع أن يقدم الجديد في هذا العلم، وحينما نقول أنه كان مسبوقا إلى الكثير من الأفكار اللسانية لا نريد بذلك إلغاء نبوغه أو التهوين من شأن ما جاءت به محاضراته بل بالعكس يجب أن نحدد الجهد الحقيقي الذي ينبغي أن ينسب إليه.

ويكفي أن نقول: إن "ديسوسير" هو أول من أعطى للدراسة العلمية للسان البشري بعدها الحقيقي ومد مسالكها ضن المنهجية والإجرائية اللازمة، وأول من بعج مفهوم البنية وجعل منه الأساس المنهجي للدراسة اللسانية الحديثة التي سميت فيما بعد باللسانيات البنوية. **(المرجع نفسه، ص 62.)**

04-تصنيف دي سوسير لمناهج الدراسة اللغوية:

يصنف " دي سوسير" في محاضراته مراحل الدراسات اللسانية السابقة إلى ثلاث مراحل من حيث هي مناهج:

أ- منهج النحو المعياري

كانت البدايات الأولى لهذا المنهج مع اليونانيين ثم امتدت دروسها مع الفرنسيين خاصة أنصار مدرسة " بور رويال " ومن أهم النقائص التي سجلها دي سوسير على هذه الدراسة ملاحظته ما يلي:

-أنها دراسة قائمة على المنطق وأدواته وهو مما يؤدي إلى النظر إلى اللغة في شكل افتراضات غير نهائية مما يبعد اللغة عن المجال الملاحظة الصرفة.**(دي سوسير، محاضرات في الألسنة العامة، تريوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1956، ص11.)**

-إنها دراسة معيارية normativ تضع اللغة في قالب قسري يعتمد على منهج التفسير.

ب- منهج الدراسة الفيلولوجية التاريخية:

ظهرت هذه الدراسة من خلال مدرسة الإسكندرية القديمة كما ارتبطت بالحركة العلمية التي أسسها " فريديريك وولف F.A.WOLF " منذ 1777. وتسعى هذه الدراسة إلى شرح النصوص القديمة معتمدة على المنهج التاريخي، ويقوم انتقاد " دي سوسير" لهذه الدراسة على ما يلي:

-أنها تعتبر اللغة مجرد وسيلة وليست غاية.

-أنها تعكف على دراسة الخطاب المكتوب وتستثني الخطاب المنطوق.

-أنها تعتمد على المنهج التاريخي العاجز عن الرؤية الشاملة للغة وعن الوصف العلمي الدقيق لنظامها.**(الطيب دبة، مبادئ اللسانيات العامة، ص64.)**

ج- منهج الدراسة الفيلولوجية المقارنة:

ظهرت هذه الدراسة منذ أن اكتشف الأوروبيون العلاقات القائمة بين اللغات الأوربية واللغات الهندية، وتهدف هذه الدراسة للمقارنة بين اللغات التي يفترض أن يكون بينها تشابه (ressemblance) أو نسب parente، ويذكر " دي سوسير " أن استقلالية هذا العلم تأكدت وبرزت معالمها على يد اللغوي الألماني " فرونز بوب F.Bopp " واضع منهج النحو المقارن ومع ذلك سجل دي سوسير مجموعة من المؤخذات منها:

-إنها لم تكن لتقوي على تشكيل اللسانيات الحقيقية لكونها لم تتوخ استخلاص طبيعة غرض دراستها ولم تهتم بأبعاد العلاقات التي كانت تكتشفها.

-إن القواعد المقارنة لم تكن قادرة على الوصول إلى نتاج مهمة نظرا لكونها تحصر نفسها في المقارنة ولم تكن تاريخية.

-كما يرى " دي سوسير" أن هذه الدراسة تعتمد على مبدأ خاطئ وذلك حينما تكتفي بالبحث في الظاهرة الصوتية معزولة عن نظامها النحوي التزامني الواردة فيه. **المرجع نفسه، ص65.**

5-مهمة اللسانيات عند دو سوسير:

ينبغي الانطلاق ابتداء في تصورنا لمهمة اللسانيات عند "دي سوسير" من أنها تمثل لديه التوجهات الكبرى في منهجه اللساني الجديد، والأرضية التي تنطلق منها مفاهيمه ونظرياته، ويمكن استعراض جوانب هذه المهمة:

أ- السعي إلى الدراسة العلمية للسان البشري من خلال متابعة ورصد شكله الآني التزامني الذي يبرز اللغة بوصفها بنى مترابطة ووحدات متعلقة بشكل منتظم ومتناسق يجعل منها نظاما من العناصر والقيم. **فرديتان دو سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص14.**

ب- دراسة اللغات دراسة وصفية تاريخية، وهذا يعني سرد تاريخ الأسر اللغوية وإعادة بناء اللغات الأم في كل منها. **Saussure F-De- Cours, Linguistique Generale, E Nag, 2 Edt; 1994, P17**

ت- البحث عن القوى الموجودة في اللغات كافة وبطريقة شمولية متواصلة ثم استخلاص القوانين العامة التي يمكن أن ترد عليها كل ظواهر التاريخ الخاصة.

ث- دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها.

ج- تحديد اللسانيات لنفسها واعترافها بنفسها واستقلالها عن باقي العلوم. **الطيب دبه، مرجع سابق، ص66.**

6- خصائص اللسانيات:

يرى جون لاينز مثلا أن أهم خصائص اللسانيات هي:

أ- الاستقلالية: وهو مظهر علميتها، وخلاف ذلك أن النحو القديم خالطه كثير من المنطق والفلسفة. فعلم اللسانيات وصفي (Descriptif) وليس معياريا (Normatif)، (غير تعليمي مثلا لا يهتم بقل كذا ولا تقل كذا) وإنما يهتم بأن: "الناس تقول كذا أو لا تقول كذا." دون اصدار حكم.

ب –العناية باللهجات: فلا فضل للفصحى على اللهجات ولا العكس من الناحية التواصلية، فكل اللغات تُبين ولها قواعد ولو لم تكن مكتوبة.

ج- الاهتمام باللغات المنطوقة: وتقديمها على اللغة المكتوبة، أما علم اللغة التقليدي فالأمر فيه بالعكس.

د- المساواة بين اللغات البدائية والمتحضرة: لا تقيم اللسانيات وزنا للفروق بين اللغات مهما كانت، فلا مفاضلة بين لغة متحضرة ولغة بدائية قديمة.